**نشرت بجريدة "البناء" و"القدس العربي"**

**تاريخ 16/10/2017**

**ترفيع ايران الى مرتبة عدو اميركا الاول...**

**د. عصام نعمان**

اطلق ترامب اخيراً عاصفته المجنونة الموعودة : ايران وحرسها الثوري هي الخطر الداهم .

ايران كانت دائماً ، في رأيه ، خصماً مؤذياً . ترامب قرر ترفيعها الى مرتبة العدو الاول والأفعل. خطرها ليس نابعاً من كونها قوة نووية بل من كونها ذات قدرات متنوّعة ومتعاظمة وانها مقتدرة وقادرة على تحجيم نفوذ اميركا وإجلائه عن البرزخ الممتد من شواطيء البحر الأبيض المتوسط الى شواطيء الخليج.

الإتفاق النووي ليس سبباً للعداوة بل ذريعة لتعظيمها . ثمة تحريض اسرائيلي متوقّد ، وكذلك خليجي ، لكنهما ليسا الدافع الاول لترفيع ايران الى مرتبة العدو الاول. الدافع الاول إقتناعُ ترامب والمنظومة السياسية والعسكرية الحاكمة establishmentبأن الادارات الاميركية المتعاقبة ، منذ جورج بوش الاب الى باراك اوباما ،  اخفقت في حربها الناعمة soft power على ايران وقوى المقاومة المتحالفة معها. لعل المظهر الاخير للإخفاق إندحار الإرهاب المتمثل بـ "الدولة الإسلامية في العراق والشام-داعش".

سواء كان تنظيم "داعش" صناعة اميركية ، كما يعتقد كثيرون ، ام مجرد ردة فعلٍ على تغوّل الولايات المتحدة وبعض دول الغرب الاطلسي و"اسرائيل" في استباحة بلاد العرب والمسلمين ، فإن ثمة حقيقة ساطعة لا سبيل الى انكارها هي ان اميركا وبعضاً من حلفائها الاقليميين استعملوا "داعش" واخواته من اجل ترسيم خريطة جيوسياسية جديدة لبلدان غرب آسيا ولمواجهة قوى المقاومة البازغة فيها.

انهزام الإرهاب ومن هم وراءه هو الدافع الرئيس للولايات المتحدة ، في ظل ترامب ، الى تأكيد وتعزيز وتظهير قرار مواجهة ايران وقوى المقاومة المتحالفة معها.

لا بدَّ من التوضيح ان قوى المقاومة العربية عموماُ متحالفة مع ايران وليست اداةً لها. صحيح ان ايران تموّل وتسلّح وتدرّب العديد من فصائلها ، وان لها في صفوفها تأييداً ونفوذاً ، لكن قياداتها ليست بالتأكيد اداةً لإيران.

ادارة ترامب والمنظومة السياسية والعسكرية والإستخبارية الاميركية حريصة على إضفاء صفة التبعية على قوى المقاومة العربية المتحالفة مع ايران . التبعية تهمة ملفّقة . قيادات حزب الله اللبناني ، والجهاد إلاسلامي و"حماس" الفلسطينيتين وغيرها من التنظيمات والفصائل  ليست بالتأكيد ادوات لإيران ولا وكيلة لها. العلاقة بين تلك القوى المجاهدة وايران ليست علاقة تبعية او إرتزاق بل علاقة تعاهد وتحالف وتعاون في مواجهة اعداء مشتركين . هذا ما يبدو سائداً حتى الان .

هل من متغيرات لافتة في الوسائل والغايات بعد اعلان ترامب استراتيجيته تستوجب انتباهاً وتركيزاً خاصاً من طرف قوى المقاومة ؟

من الواضح ان ادارة ترامب تعتمد مقاربة مغايرة لسابقاتها في العراق وسوريا من جهة وفي فلسطين من جهة اخرى. في العراق ، تدعم واشنطن مداورةً مسعود برزاني على تثبيت وضع انفصالي عن حكومة بغداد المركزية يرمي الى تمكين الكرد من اقامة دولة مستقلة في كردستان العراق. في السياق ، تحبّذ واشنطن نشؤ حالة اشتباك بين قوات "البيشمركة" وقوات الجيش العراقي لتوليد حاجة لدى حكومة بغداد لإستبقاء القوات الاميركية المتواجدة حالياً في الشمال ، كما من اجل إطالة امد عدم الإستقرار في البلاد.

في سوريا ، تدعم واشنطن قوات سوريا الديمقراطية "قسد" لإقامة سلطة منفصلة عن حكومة دمشق يُراد لها ، في المدى الطويل ، ان تشكّل الجناح السوري لدولة الكرد المستقلة في شمال العراق وشمال سوريا ، وهو مخطط يحتمل واحداً من تفسيرين : إما إقامة دولة كردية بالتفاهم مع تركيا تقتصر على اجزاء من العراق وسوريا وتعويض انقرة بدعم جهودها للسيطرة على الكرد الاتراك في شمال شرق البلاد ، وإما غضّ واشنطن النظر عن قيام تركيا بالسيطرة على اجزاء واسعة من شمال سوريا بغية تحقيق غرضين : حصر دولة الكرد المستقلة في شمال العراق ، وإبقاء شمال سوريا رهينة في ايدي الاتراك لحمل حكومة دمشق وفصائل المعارضة السورية على التسليم بإقامة نظام فدرالي ضعيف يراعي اميركا وتركيا ولا يشكّل خطراً على "اسرائيل".

في فلسطين المحتلة ، ثمة مؤشرات الى ان ترامب يحلم بتحقيق ما يسمّيه "صفقة القرن" بين "اسرائيل" والفلسطينيين . مضمون "الصفقة" لم يتضح بعد ، إلاّ ان القليل مما تيّسرت معرفته يشير الى تسويق تسويةٍ بين الطرفين تعطي الفلسطينيين كياناً سياسياً يقتصر على أمكنة كثافتهم السكانية في الضفة الغربية ، على ان يصار الى ربطه بالاردن من خلال نظام كونفدرالي يرعى شؤون القدس الشرقية والحرم الشريف.

الى ذلك ، تأمل ادارة ترامب بأن تساعد التسوية المرتجاة على تسهيل وتسريع عملية التطبيع بين "اسرائيل" والدول العربية "المعتدلة" ، وفي مقدمها السعودية ودول الخليج ، على ان ترافق هذه العملية مبادرات اعتراف متبادل اذا كانت اوضاعها الداخلية تحتمل "خطوة جريئة" في هذا المجال.

كل هذه السيناريوهات والتطلعات يراد لها ان تصبّ تدريجاً في هدف استراتيجي رئيس هو بناء جدار سياسي وعسكري فاصل بين عالم العرب وعالم الفرس. لذلك تحرص ادارة ترامب على إبقاء قواتها ، ومن ثم تعزيزها ، في العراق وسوريا لمنع تواصلهما جغرافياً وسياسياً وعسكرياً والحؤول دون إقامة جسر بري استراتيجي يمتد من طهران وبيروت عبر بلاد الرافدين وبلاد الشام.

بإختصار ، ممنوع على ايران ان تصل  الى البحر المتوسط او ان تكون لها قواعد ومرتكزات في سوريا ولبنان . هذا الامر هو مطمع ومطلب اميركيان واسرائيليان . من هنا يمكن تفسير تبرّم ترامب (ونتنياهو) بالإتفاق النووي . ذلك ان إقراره في مجلس الامن اعطاه بُعداً دولياً وادى الى رفع العقوبات عن ايران مكّنها من توظيف المزيد من الموارد والطاقات في صناعتها الصاروخية وبالتالي في انتاج صواريخ متقدمة يتجاوز مداها "اسرائيل" ويطاول جميع القواعد الاميركية في منطقة غرب آسيا.

اميركا ، كما "اسرائيل" ، تعرفان ان ليس لدى ايران قنابل ذرية وانها ليست جادة في امتلاكها ، وان لا سبيل اصلاً الى استعمال السلاح النووي نظراً لخطره الكارثي المدمّر على الاطراف التي تستعمله برغم التفاوت الكمّي لصالح بعضها في هذا المجال. لكن اميركا و"اسرائيل" تعرفان ايضاً ان ايران قادرة على تعويض نقصها في الاسلحة النووية بكمية الصواريخ الضخمة التي تمتلكها ، للمدى المتوسط وللمدى البعيد، وبالقوة النارية الهائلة التي يمكن ان تتولد عن استعمالها ، ولاسيما اذا ما تمكّنت طهران ، بالتفاهم مع دمشق ، من إقامة قواعد معدَّة لإطلاقها غير بعيدة من "اسرائيل".

هكذا تتضح اسباب نزوع ترامب والمنظومة السياسية والعسكرية الاميركية الى ترفيع ايران وقوى المقاومة الى مرتبة العدو الاول والافعل لاميركا  و"اسرائيل" ...